حال السوريين في دار هجرتهم

بقلم جناب الفاضل شبل افندي ناصيف دموس

٢

حالة التجارة السورية في الولايات المتحدة . اصنافها وتجارها وثروتهم . الصناعة الزراعة . السياسة

اصبحت تجارة السوريين في الولايات المتحدة غير محصورة في اصناف معلومة انما هي قد تجاوزت الى كل متاع يتاجر به على الاطلاق . واهمها بكثرة المتاجرين بها تجارة السلع النثرية والبضائع القطنية والكتانية والصوفية من لباس وقماش على اختلاف انواعها وكثرة عددها وهي ما يسمونه بالانكليزية Dry Goods . فمخازنهم المختصة بهذه الاصناف تربو عن الالف عداً ما بين محال خصت ببيع الجملة وهي الاكثر واخرى خصت ببيع المفرق وهي الاقل . فمركز الاولى الاكثر اهمية هو نيويورك . ومركز الثانية هو مدن الداخلية . واذا قلب القارىء صفحات كتابي « R. G. Dun » و « Bradstreet » يرى تحت اسم كل مدينة من مدن الولايات المتحدة اسماء سورية كثيرة والى جانبها اشارات وحروف تدل على مراكزهم التجارية وتذكر قوتهم المالية . فصغيرهم تقدر ماليته ما بين خمسة الاف ريال و ١٠ آلاف ريال وكبيرهم ما بين ١٥٠٠٠ ريال و ٢٠٠٠٠٠ الف ريال (١) وهذه القوة لم تكن لهم منذ خمس سنين اعني ان ثروتهم اخذت بازدياد في السنين الخمس الاخيرة ازدياداً مدهشاً جداً . ولذلك اسباب مهمة وكثيرة . منها الاقتصاد وهو طبيعة اكثرهم وطول الاختبار والبلوغ بعد العناء الكثير الى موضع الثقة العمومية حتى توفرت رؤوس اموالهم بالاستدانة من المصارف الوطنية . ثم هناك امر آخر اعظم اهمية من جميع ما ذكر ألا وهو غنى البلاد العظيم وتوفر الذهب والفضة مما يزيد كثيراً عن حاجة الاهلين حتى لم يبق فقير في هذه البلاد التي تفيض خيراتها كالبحر الطامي . والسبب في انحصار اهمية تجارتهم في البضائع المذكورة هو انصبابهم على المتاجرة بها منذ بدء تاريخ هجرتهم اقتداء باليهود الذين يتاجرون باحتياجات الناس الضرورية . فكل سوري قدم هذه الارض منذ خمس سنين فما وراءها كان اول عمل باشر فيه هو حمل هذه البضائع وبيعها متنقلاً من بيت الى آخر . وهذه البضائع عبارة عن ملبوسات للرجال والنساء

(١) الريال الاميركي بقيمة الريال المصري وهو اكثر قليلاً من خمس الليرة الانكليزية

واقمشة كتانية متنوعة يستعملها الناس في بيوتهم على اختلاف طبقاتهم . وكبار المتاجرين بهذه الاصناف يعدون بالعشرات . ومن هذه التجارة تولدت معامل سورية تصنع بعض اصنافها . وهذه المعامل تزيد عن العشرين عدًا . ثم هناك تجارة البضائع الحريرية والمطرزات ومصنوعات اليد من شغل الابرة مما يسمونه بالانكليزية Lases . وتجار هذا الصنف وان قلوا عن اولئك عددًا فليسوا دونهم في الاهمية التجارية . فهم المتاجرون * بخفيف الحمل وغالي الثمن * يستجلبون بضائعهم من ممالك اوربا ويدفعون عنها رسومًا طائلة من جمرك وغيره ولهم العمال الكثيرون من السوريين المتفرقين في داخلية البلاد الذين يدخلون بيوت ذوي الثروة والوجاهة ببضائعهم هذه ويستبدلونها بالذهب والفضة . وهي بضائع تختص بالسيدات دون الرجال وبعضها تزان بها البيوت الفاخرة الاثاث . ويتولد عن هذه التجارة معامل خصت بصنع بعض هذه الاصناف منها . الكيمونا . العباءة النسائية . والصدرة المطرزة . . شرت وبست . وقد ذكرناها في المقالة الاولى . ولارباب هذه التجارة الفضل الاكبر في تحسين شأن التجارة السورية لانهم عانوا مشقات جمة حتى استلفتوا اليهم انظار التجار الاميركيين الذين اقبلوا على معاملتهم بثقة وارتياح . اما عالهم في الداخلية فهم تجار مستقلون يصرفون بضائعهم للاهالي من ذوي اليسار واكثرهم متنقلون بين المصائف والمشاتي حيثما يكثر وفد الاغنياء . ولهم مدن يأوون اليها في فصلي الربيع والخريف ومنهم يتألف معظم الطبقة السورية الراقية نظرًا لوجودهم في وسط الفئة الراقية من الامة الاميركية يعاملونها ويخالطونها ويصرفون معظم اوقاتهم بينها

ثم تجيء تجارة السجاد العجمي وهذه اقتبسها السوريون عن الارمن وهي تجارة رائجة سوقها كثير ربحها الا ان المتعاطين بها قليلون ولكنهم كبار المنزلة بين السوريين والاميركيين على السواء . ثم تجارة السمانة السورية صرفًا ومعها التنبك العجمي والمشروبات الروحية وعدد تجارها يتراوح بين العشرين والثلاثين ولكنها باتساع دائرتها تكاد تحسب في الدرجة الاولى نظرًا لتهافت مائة وخمسين الف سوري على ما كولات بلادهم الاصلية . وتجار هذه الفئة يسكن كثيرهم وهم الاوفر ثروة في نيويورك وبوسطن وشيكاغو وبعض المدن الثانوية . ثم هناك تجارة اخرى متسعة الدائرة هي التجارة الخارجية التي تصدر جميع مصنوعات البلاد الى ممالك العالم وخاصة اميركا الجنوبية وجزائر الهند الغربية وارباب يقيمون في نيويورك لانها المركز الرئيسي لجميع تجارة الولايات

ثم تجارة الاملاك والعقارات وهذه لم يخصص السوريون اوقاتهم بمزاولتها صرفًا ولكنهم

فيها مزيج من جميع تجار الاصناف الانفة الذكر يبتاعون بفضلات اموالهم العقارات في المدن الكبرى التي تتعالى اسعارها كل يوم ومنهم ما يبلغ مدخول املاكه الشهري الف ريال اميركي وهو على زيادة في كل عام

ثم تجارة الاغلال والحبوب يخزنها اربابها في الصيف ويبيعونها في الشتاء بارباح طائلة وهي تجارة مضمون ربحها يكاد لا يتهددها خطر الخسارة . ثم تجارة الاثمار والخضرة فاربابها قسمان قسم يبيع بالجملة وهو الاوفر ثروة وقسم يبيع بالمفرق وهو ايضاً في نعمة من حيث المالية وهؤلاء التجار يعدون بالمئات

ثم تجارة الخيول والمواشي وهذه لم يبلغوا منها شأواً عالياً بعد

ثم تجارة الدخان التركي فاهلها قليلون جداً يعدون على الاصابع ولكنهم على تقدم في الثروة عظيم . لان سيكاراتهم تدخن في كل مدينة على الاطلاق وطلابها كثيرون حتى ان نموها العظيم استلفت انظار شركات الاحتكار فهم يطلبون ضمها الى معاملهم الواسعة باثمان باهظة

ثم يوجد فئة اخرى في داخلية البلاد تتجر بجميع مصنوعات البلاد في مخازن كبيرة جداً تبيع بالمفرق وهم يحذون حذو تجار المدن الكبرى وقد اتخذوا الولايات الغربية مسكناً نظراً لقلة المزاحمة . وقد بلغوا درجة عالية من الاهمية حتى انك ترى في المخزن الواحد مائة مستخدم وفوقها

فيرى القارىء ان تجارة السوريين واسعة الدائرة متنوعة الاصناف جرعها في نيويورك واغصانها في جميع الولايات خصوصاً وباقي الاقطار الاميركية عموماً . وثروتهم كبيرة جداً بالنسبة لعددهم فهم وان لم يبلغ غنى الواحد منهم مليوناً بعد (١) ولكن اذا تفرقت اموالهم بينهم كان نصيب الفرد الواحد منهم مائتي ريال . واذا تفرقت اموال البلاد وهي في اعلى درجات الغنى على اهلها لا ينال الفرد اكثر من اربعين ريالاً فتأمل

وليست موارد الرزق بينهم محصورة في المتاجرة فمنهم خمسة وعشرون الف عامل في معامل البلاد «فباركها» يصنعون المنسوجات على اختلافها . وجميع المعامل الحديدية

(١) يعني حضرة الكاتب مليون دولار ولكن اذا حسبنا ثروتهم على حساب الفرنسويين الذين يسمون «صاحب مليون» من كان يملك مليون فرنك اي «٥٠ الف ليرة فرنسوية» اي اكثر من ٢٠٠ الف ريال قليلاً جاز القول بحسب تقديره السابق ان بينهم اصحاب ملايين

ومركبات القطارات الحديدية . ومنهم مائتا عائلة تحرث الارض وتستدر خيرها في ولايتي داكوتا الشمالية واوكلاهوما وغيرها من الولايات . ومنهم الف عامل في الحقول يتقاضون اجوراً حسنة ومنهم خمسة الآف مستخدم في السكك الحديدية وفي الادارات والمكاتب والمخازن الاميركية في المدن وفي الولايات . وما تبقى مما يزيد المائة الف عدّاً يعملون في التجارة ما بين مقيم في مخزن و بين من يحمل بضائعه الى بيوت الناس بين الفلاحين والحضريين في عربات كبيرة تجرها الخيل او على عاتقه

وقد بقيت تجارة اخرى خاسرة لم اذكرها وهي تجارة البورصة فمنهم من زاولها وعاد فشلاً لان المتاجر هناك ابداً تحت رحمة ارباب الاموال الذين تسميهم اميركا « كلاب البحر المفترسة » فهؤلاء يرفعون الاسعار و يخفضونها حسب اهوائهم وصغار المتاجرين في شارع « وال الاسود » يذهبون فريسة لا تقوى على الدفاع عن نفسها

هذه حالهم من حيث التجارة وقد ذكرت في عرض الحديث ان نجاحهم فيها ظهر باجلى بيان في الخمس السنين الاخيرة اذ بلغوا موطن الثقة من زملائهم . واذا بقيت احوال البلاد كما هي فلا يعجبنّ القارىء اذا بلغ منهم عدد الى مصاف اهل الثروة الكبرى ممن تقدر اموالهم بالملايين لان ثروتهم في ازدياد كل عام

اما في السياسة فهم افضل في الداخلية منهم في نيويورك . لان الداخلين في الجنسية الاميركية يتألبون جماعات في المدن الصغرى ويضمون اصواتهم بعضها الى بعضها في الانتخابات فحيثما مالوا في المدن الصغرى امالوا كفة الميزان معهم . ولذلك ترى الاحزاب السياسية في المدن الصغرى المذكورة التي عدد الاميركيين فيها لا يستغرق عددهم كثيراً يسعون في استمالتهم اليهم لنيل اصواتهم . فمتقدمو السوريين في الداخلية مسموعو الكلمة نافذوها لا يضام فقيرهم ولا يظلم

وقد بلغ من شان السوريين عام ١٩٠٤ ان الحزب الربيلكاني « الجمهوري » الذي رشح الرئيس روزفلت لمنصبه الخطير اعتمد واحداً من السوريين وسيره الى جميع الولايات الشمالية الوسطى لاستمالتهم اليه . ولما تمّ له الفوز في الانتخابات لم يغفل عن ان شكرهم علانية على صفحات جرائدهم

اما المناصب السياسية المهمة فلم يبلغوها بعد لاسباب منها انصبابهم جميعاً على التجارة . وقد بلغني ان في نيومكسكو سورياً انتخب الى مديرية احدى الكونتات وهذا لم يسبق له مثيل بعد . وقد كان المرحوم نجيب عربيلي واحداً من المديرين الثلاثة في ادارة المهاجرة غير

انه لم ينتخب الى هذا المركز بل كان معيناً له تعييناً وهذا اعظم منصب شغله سوري الى هذا اليوم

تاريخ السوريين المؤسسين والنافعين
في دار الهجرة

﴿ الجامعة ﴾ بعد ما ورد في هاتين الرسالتين المشبعتين فوائد للقراء من بسط اجمال احوال السوريين في الولايات المتحدة تجارياً وصناعياً ستشرع الجامعة في التفصيل الذي ذكرته في مقدمة الرسالة الاولى اي انها بعد البيان الاجمالي الذي تقدم ستتكلم بالتفصيل عن كل بيت تجاري وكل سوري نفع في هذه الديار بتجارته او صناعته او زراعته او غير ذلك « نفعاً حقيقياً » وتخصص لكل بيت نصف صفحة او صفحة بحسب اهميته . وتخص من بينهم بالكلام المؤسسين الاوَل الذين قدموا الى هذه الديار في مفتتح الهجرة فكان لهم فضل التأسيس للذين تبعوهم بعدهم . وبذلك تكون الفصول التالية عبارة عن « تاريخ لمهاجرة السوريين » وتاريخ اعمالهم وطرق شرائهم وبيعهم ومقدار نجاح اعمالهم في هذه البلاد تبقى مسطرة على صفحات الجامعة ناطقة بهمتهم وجدّهم

وتوصلاً لذلك قد طبعنا في اول صفحة من صفحات الاعلانات في هذا الجزء عدة اسئلة نطلب الجواب عليها للوقوف على تاريخ المحل التجاري او الصناعي وتاريخ هجرة صاحبه الى هذه البلاد سواء كان ذلك في اميركا الشمالية او الجنوبية . فنرجو ممن يتفضل بالجواب على تلك الاسئلة ان يجيب عليها في ذات الورقة ثم يقطعها ويبعث بها الينا واذا رأى فيها اسئلة لا يريد الجواب عليها فليضرب صفحاً عنها . ولا شك ان هذه هي اول مرة يُكتب بها تاريخ اعمال السوريين في اميركا فنرجو ان يساعدنا حضراتهم على استيفاء هذا الموضوع الذي يسجل فضلهم ويسرّ اخوانهم خارج اميركا الذين لا يعرفون شيئاً كبيراً عن فضلهم واجتهادهم